
جُنْدِيُّ الرَّصاصِ الصَّغير
أجمل حكاياتي
CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ الصَّغِيرُ

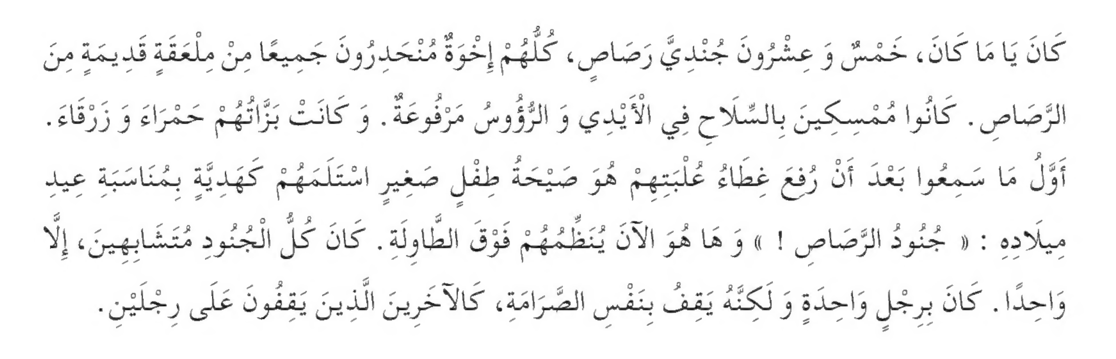


مقتبسة من حكايات هانس كريستيان أندرسن

رسوم : منصور عموري



كَانَ يَا مَا كَانَ، خَمْسٌ وَ عِشْرُونَ جُنْدِيَّ رَصَاصٍ، كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ مُنْحَدِرُونَ جَمِيعًا مِنْ مِلْعَقَةٍ قَدِيمَةٍ مِنَ الرَّصَاصِ. كَانُوا مُمْسِكِينَ بِالسِّلَاحِ فِي الْأَيْدِي وَ الرُّؤُوسُ مَرْفُوعَةٌ. وَ كَانَتْ بِزَّاتُهُمْ حَمْرَاءَ وَ زَرْقَاءَ. أَوَّلُ مَا سَمِعُوا بَعْدَ أَنْ رُفِعَ غِطَاءُ عُلْبَتِهِمْ هُوَ صَيْحَةُ طِفْلٍ صَغِيرٍ اسْتَلَمَهُمْ كَهَدِيَّةٍ بِمُنَاسَبَةِ عِيدِ مِيلَادِهِ : « جُنُودُ الرَّصَاصِ ! » وَ هَا هُوَ الْآنَ يُنَظِّمُهُمْ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ. كَانَ كُلُّ الْجُنُودِ مُتَشَابِهِينَ، إِلَّا وَاحِدًا. كَانَ بِرِجْلٍ وَاحِدَةٍ وَ لَكِنَّهُ يَقِفُ بِنَفْسِ الصَّرَامَةِ، كَالْآخَرِينَ الَّذِينَ يَقِفُونَ عَلَى رِجْلَيْنِ.





عَلَى الطَّاوِلَةِ الَّتِي كَانَ يَنْتَظِمُ جُنُودُ الرَّصَاصِ فَوْقَهَا، كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ اللُّعَبِ الْأُخْرَى، أَبْرَزُهَا كَانَ قَصْرًا جَمِيلًا مِنْ الْوَرَقِ، وَ مِنْ خِلَالِ نَوَافِذِهِ الصَّغِيرَةِ كَانَ يُمْكِنُ رُؤْيَةُ مَا بِدَاخِلِ غُرَفِهِ. وَ فِي الْخَارِجِ كَانَتْ أَشْجَارٌ صَغِيرَةٌ تُحِيطُ بِمِرْآةٍ تُمَثِّلُ بِرْكَةَ مَاءٍ وَ كَانَتْ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا صُورُ بَجَعَاتٍ شَمْعِيَّةٍ. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ جَمِيلًا وَ لَكِّنَ الْأَجْمَلَ هُوَ أَنَّ فَتَاةً صَغِيرَةً كَانَتْ مَوْجُودَةً أَمَامَ بَابِ الْقَصْرِ الْوَرَقِيِّ، هِيَ الْأُخْرَى كَانَتْ مِنْ وَرَقٍ، وَكَانَتْ تَرْتَدِي فُسْتَانًا مِنَ التُّولِ وعَلَيْهِ شَرِيطٌ رَفِيعٌ أَزْرَقُ بِمَثَابَةِ وِشَاحٍ وَ فِي وَسَطِهِ كَانَتْ تَلْمَعُ مِيدَالِيَّةٌ فِي حَجْمِ وَجْهِهَا.





وَ لِأَنَّهَا رَاقِصَةٌ، كَانَتِ الْفَتَاةُ تَمُدُّ ذِرَاعَيْهَا فِي الْهَوَاءِ، وَ تَرْفَعُ إِحْدَى سَاقَيْهَا عَالِيًا. لَمْ يَكُنْ الْجُنْدِيُّ الصَّغِيرُ يَرَاهَا، فَظَنَّ أَنَّ الْفَتَاةَ مِثْلُهُ بِسَاقٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَعَلَّهَا سَتَكُونُ امْرَأَةً مِثَالِيَّةً لِي. كَمَا أَنَّهَا تَبْدُو مُمَيَّزَةً جِدًّا، فَهِيَ تَسْكُنُ قَصْرًا عَظِيمًا، أَمَّا أَنَا فَفِي عُلْبَةٍ فَقَطْ حَيْثُ نَتَزَاحَمُ نَحْنُ الْخَمْسَةُ وَ الْعِشْرُونَ. رَغْمَ هَذَا عَلَيَّ أَنْ أُحَاوِلَ التَّعَرُّفَ عَلَيْهَا ». وَ اخْتَفَى وَرَاءَ عُلْبَةِ التَّبْغِ الْخَشَبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الطَّاوِلَةِ. وَ مِنْ هُنَاكَ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَنْظُرَ بِإِعْجَابٍ لِلْفَتَاةِ الَّتِي ظَلَّتْ وَاقِفَةً عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ دُونَ أَنْ تَفْقِدَ تَوَازُنَهَا.



عِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ، دَخَلَ جُنُودُ الرَّصَاصِ إِلَى عُلْبَتِهِمْ وَ ذَهَبَ سُكَّانُ الْبَيْتِ إِلَى النَّوْمِ، فِي حِينِ ظَلَّ جُنْدِيُّنَا الصَّغِيرُ مُخْتَبِئًا وَرَاءَ عُلْبَةِ التَّبْغِ. عِنْدَمَا دَقَّتِ السَّاعَةُ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ : « كَلَاكْ ! »، اِنْفَتَحَ الْغِطَاءُ وَ ظَهَرَ شَيْطَانٌ صَغِيرٌ ! فَعُلْبَةُ التَّبْغِ كَانَتْ فِي الْوَاقِعِ عُلْبَةَ الْمُفَاجَآتِ. قَالَ الشَّيْطَانُ الصَّغِيرُ : « يَا جُنْدِيَّ الرَّصَاصِ، كُفَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ وَ ضَعْ عَيْنَيْكَ فِي جَيْبِكَ ! »، غَيْرَ أَنَّ الْجُنْدِيَّ تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا. فَتَوَعَّدَهُ الشَّيْطَانُ الصَّغِيرُ قَائِلاً : « اِنْتَظِرْ لِتَرَى مَا سَيَحْدُثُ غَدًا ! »

فِي اليَوْمِ التَّالِي عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ الْأَطْفَالُ وَضَعُوا جُنْدِيَّ الرَّصَاصِ عَلَى حَافَّةِ النَّافِذَةِ. فَجْأَةً انْفَتَحَتِ النَّافِذَةُ وَسَقَطَ مِنَ الطَّابِقِ الثَّالِثِ عَلَى رَأْسِهِ عَلَى الرَّصِيفِ. سَقَطَ عَلَى قُبَّعَتِهِ، سَاقَاهُ فِي الْهَوَاءِ وَ حِرْبَتُهُ مَغْرُوسَةٌ بَيْنَ حِجَارَةِ الرَّصِيفِ. نَزَلَتِ الْخَادِمَةُ وَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ لِلْبَحْثِ عَنْهُ وَ لَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَاهُ. بَدَأَ الْمَطَرُ فِي السُّقُوطِ وَ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ تَحَوَّلَ إِلَى طُوفَانٍ حَقِيقِيٍّ.



بَعْدَ الْعَاصِفَةِ، مَرَّ طِفْلَانِ مُتَسَكِّعَانِ، قَالَ أَحَدُهُمَا : « هِيهْ !، هَا هُوَ جُنْدِيٌّ رَصَاصِيٌّ يَنْتَظِرُ فَقَطِ الْإِبْحَارَ ». صَنَعَا مَرْكَبًا بِجَرِيدَةٍ قَدِيمَةٍ وَ وَضَعَا فِيهِ جُنْدِيَّ الرَّصَاصِ وَ أَطْلَقَاهُ فِي الْقَنَاةِ الْمَائِيَّةِ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ. كَانَ الطِّفْلَانِ يَتْبَعَانِهِ وَ هُمَا يُصَفِّقَانِ. حَافَظَ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ الَّذِي كَانَ يَتَرَنَّحُ فِي كُلِّ الِاتِّجَاهَاتِ عَلَى رَبَاطَةِ جَأْشِهِ. فَجْأَةً دَخَلَ الْمَرْكَبُ تَحْتَ خَشَبَةٍ كَانَتْ تُغَطِّي الْمَجْرَى وَ انْدَفَعَ فِي الْبَالُوعَةِ. « إِنَّ الْمَكَانَ مُظْلِمٌ كَمَا فِي عُلْبَتِي. أَيْنَ أَنَا ذَاهِبٌ الْآنَ ؟ آهٍ لَوْ كَانَتْ عَلَى الْأَقَلِّ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ مَعِي ! »





فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ظَهَرَ جُرْذٌ سَمِينٌ وَ صَاحَ بِهِ : « جَوَازُ السَّفَرِ !، جَوَازُ السَّفَرِ !، هَيَّا أَسْرِعْ ! » لَمْ يَرُدْ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ وَ أَمْسَكَ بِقُوَّةٍ بُنْدُقِيَّتَهُ. كَانَ التَّيَّارُ يَدْفَعُهُ نَحْوَ مَخْرَجِ الْبَالُوعَةِ الَّتِي كَانَتْ تَصُبُّ فِي النَّهْرِ. دَارَ الْمَرْكَبُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ حَوْلَ نَفْسِهِ، امْتَلأَ مَاءً ثُمَّ غَرِقَ. لِحُسْنِ الْحَظِّ تَمَزَّقَتِ الْجَرِيدَةُ وَ مَرَّ الْجُنْدِيُّ عَبْرَهَا. وَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ابْتَلَعَتْهُ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ. فَكَّرَ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ : « إِنَّ الْمَكَانَ أَكْثَرُ ظَلاَمًا مِنْ ذِي قَبْلُ ».

مَكَثَ سَاكِنًا مُمْسِكًا بِسِلَاحِهِ. كَانَتِ السَّمَكَةُ تَتَحَرَّكُ فِي كُلِّ الاتِّجَاهَاتِ، وَ فَجْأَةً تَوَقَّفَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ. رَأَى جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ نُورَ النَّهَارِ وَ سَمِعَ صَوْتًا يَصِيحُ : « انْظُرُوا مَاذَا وَجَدْتُ فِي بَطْنِ السَّمَكَةِ ! جُنْدِيٌّ مِنَ الرَّصَاصِ ! »؛ كَانَ صَوْتُ الطَّبَّاخَةِ الَّتِي اشْتَرَتِ السَّمَكَةَ مِنَ السُّوقِ لِتُحَضِّرَهَا لِلْغَدَاءِ. وَ هَكَذَا أَخَذَتِ الْجُنْدِيَّ الصَّغِيرَ إِلَى الصَّالُونِ، يَا لَلْمُفَاجَأَةِ ! تَعَرَّفَ عَلَى الْأَطْفَالِ وَ لُعَبِهِمْ وَ قَصْرِ الْوَرَقِ الْجَمِيلِ وَ الرَّاقِصَةِ الصَّغِيرَةِ الْفَاتِنَةِ. كَانَتْ تَقِفُ بِبُطُولَةٍ فِي نَفْسِ الْوَضْعِيَّة : الرِّجْلُ مَمْدُودَةٌ نَحْوَ الْأَعْلَى، وَ هُوَ مَا أَثَارَ عَوَاطِفَهُ. نَظَرَ إِلَيْهَا ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ أَيْضًا وَ لَكِنَّهُمَا لَمْ يَتَفَوَّهَا بِكَلِمَةٍ.





فَجْأَةً وَ بِلَا سَبَبٍ، أَمْسَكَ بِهِ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ وَ رَمَاهُ فِي النَّارِ. شَعَرَ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ بِحَرَارَةٍ رَهِيبَةٍ. كَانَ يُحِسُّ بِالذَّوَبَانِ، وَ شَيْئًا فَشَيْئًا فَقَدَ شَكْلَهُ وَ لَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي النَّظَرِ إِلَى الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ وَ هُوَ مُمْسِكٌ بِقُوَّةٍ بِبُنْدُقِيَّتِهِ.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، دَخَلَ تَيَّارٌ هَوَائِيٌّ رَمَى بِالرَّاقِصَةِ إِلَى النَّارِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجُنْدِيِّ. وَ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ اخْتَفَتْ فِي اللَّهَبِ.



فِي الصَّبَاحِ الْمُوَالِي جَاءَتِ الْخَادِمَةُ وَ كَنَسَتِ الرَّمَادَ مِنَ الْمِدْفَأَةِ، وَ وَجَدَتْ قَلْبًا صَغِيرًا مِنَ الرَّصَاصِ وَ مِيدَالِيَّةً جَعَلَتْهَا النَّارُ سَوْدَاءَ كَالْفَحْمِ.